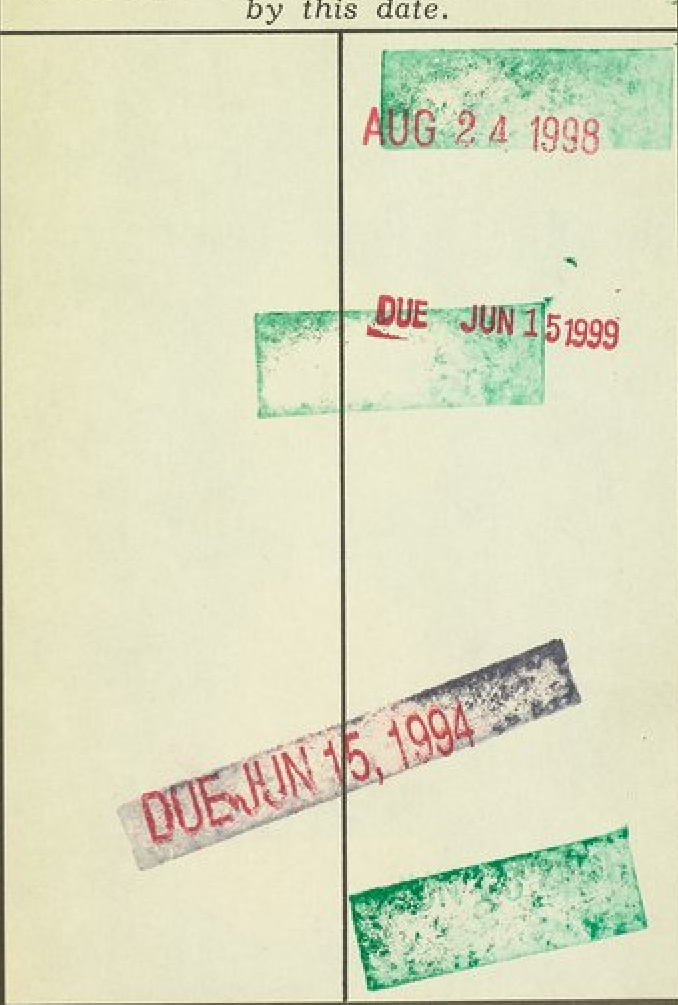

AUG 24 1998
DUE JUN 15 1999
DUE JUN 15, 1994




# رسالة تاريخية

## في احوال لبنان في عهده الاقطاعي

بقلم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله

عني بنشرها تباعاً في مجلة المسرة وتعليق حواشيها

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي



مطبعة القديس بولس في حريصا

Risālah ta'rīkhīyah

# رسالة تاريخية

fi aḥwāl Lubnān fi ʻahdihi al-iqṭāʻi

## في احوال لبنان في عهده الاقطاعي

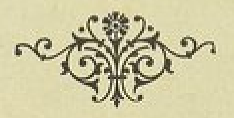
بقلم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله

Nāṣīf al-Yāzijī

عني بنشرها تباعاً في مجلة المسرة وتعليق حواشيها

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

Qusṭanṭīn al-Bāsha



مطبعة القديس بولس في حريصا

Harīṣa

# رسالة تاريخية

## في احوال لبنان في عهده الاقطاعي

بقلم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله

طالعت هذه الرسالة في عدة نسخ مخطوطة ومطبوعة . وقد اعجبني ما تضمّنت من معلومات مهمّة جمّة عن لبنان في عهده الاقطاعي لم يتعرض لذكرها احد من المؤرخين والكتاب من اهل ذلك العصر مع متانة وطلاوة في عبارتها نادرة . وكاتبها من كتاب ديوان الامير بشير الشهابي كتب ما كتبه فيها عن خبرة تامة بذلك بعد ممارسة طويلة في ديوان الامير الكبير . عرف كل احوالها على اختلاف مقاصدها ومصادرها من امراء وكبار شيوخ لبنان وصغارهم وعامتهم وخاصتهم وسوقتهم . فانهم كانوا يجرون بالكتابة لذوي الشأن على سنة لا يسوغ لهم مخالفتها مما يقابل عند الافرنج ما يقال له في لغتهم Protocole

على ان المطبوع من هذه الرسالة قد خلا من اسم المؤلف بخلاف المخطوط فان عدة نسخ مخطوطة منها ينتهي آخرها هكذا : والله اعلم . انتهى بقلم كاتبه الفقير الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٣٣

وبعض النسخ منها ينتهي هكذا :

والله اعلم . انتهى بقلم كاتبه الفقير اليه تعالى ناصيف اليازجي سنة ١٨٣٣

والمطبوع منها وبعض النسخ المخطوطة تنتهي هكذا :

والله اعلم . انتهى بقلم كاتبه الفقير سنة ١٨٣٣

والظاهر ان اسم المؤلف قد حُذف حذفاً في المطبوع منها في اوربا عن قصد او عن اهمال من المستشرق الدنيمركي مهرن (Mehren) الذي عني بنشرها لاول مرة على النسخة الاصلية التي وقف عليها عند استاذه البارون سلفستروس دي ساسي لعدم اهتمام الناس باسم المؤلف هناك . لكن بقي نعته الموصوف به (كاتبه الفقير) دالاً على المحذوف

ولعدم ذكر اسم المؤلف في النسخة التي وقف عليها المرحوم جرجي زيدان ونشرها في مجلة الهلال طلب الافادة عنه من قراء الهلال فاتاه من احدهم الخواجا انطون انطونيوس انه طالعها في مجموعة خطية للمرحوم جرجس اندراوس صوصه من دير القمر وظن الكاتب وبعض القراء لمجرّد ذلك انه مؤلفها

على ان الذي نعلمه عن جرجس اندراوس صوصه المذكور انه كان من التجار في دير القمر ولم يكن من كتاب الدواوين ولا من البارعين بالانشاء وبالتالي لا يستطيع ان يأتي بانشاء صحيح كانشاء هذه الرسالة

وهذا نفس ما نقوله لمن ظن ان مؤلفها الدكتور ميخائيل مشاقة لان انشاء مشاقة المذكور معروف عند كثيرين وهو ادنى الى لغة العامة لا يشبه انشاء هذه الرسالة، فضلاً عن انه لم يكن من كتاب ديوان الامير وليس له معرفة تامة بآداب الكتابة الرسمية كما هي مفصلة في هذه الرسالة

وقد كتب عنها وعن مؤلفها المرحوم الاب لويس شيخو في تأليفه المرسوم «بالآداب العربية في القرن التاسع عشر» في الصفحة ٣١ من الجزء الثاني قال :

« ومما طُبع له ( اي للشيخ ناصيف اليازجي ) من التآليف في اوربة رسالته الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينية الاستاذ مهرن ( Mehren ) وعلّق عليها الحواشي وطبعها في ليبسيك . وقد وجدنا في مكتبة برلين رسالة مطوّلة في احوال لبنان وسكانه وامرائه واديان اهله لا نشك انها له وان لم يُذكر فيها اسمه . وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلامة فليشر ( Fleischer ) ونشرها في المجلة الاسيوية الالمانية . ثم نشرتها مجلة الهلال ونسبتها الى اندراوس صوصه »

وقد وقف حضرة الاستاذ عيسى المعلوف على هذه الرسالة ونقل عنها جمل كبيرة في تاريخ اسرته الصفحة ٢٥٢ ولم يتعرض لذكر مؤلفها . ثم ذكرها في اخر كتابه في الصفحة ٧١٢ ونسبها الى الشيخ ناصيف بعد ان وقف على نسخة منها ملحقة بتاريخ الامير حيدر وجد في اخرها :

« انتهى بقلم الفقير كاتبه الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٣٣ . ثم بعد ذلك : وانتهت مؤخراً عن يد كاتبها وكاتب الكتاب برمته الفقير ابرهيم سركيس سنة ١٨٧٥ . وفي الاخر : انتهى نسخهُ بما تيسّر في اوقات الفراغ بيد كاتبه خليل منصور المشعلاني في ٢٦ ك ١ سنة ١٨٨٤ » . لكن حضرة الاستاذ لا يشك اليوم

بامر نسبتها الى الشيخ المذكور كما صرح لنا بذلك

على ان من اعتاد مطالعة مؤلفات الشيخ ناصيف اذا طالع هذه الرسالة بالتروي لا يشك بانها من تأليفه . ومما خُصَّت به هذه الرسالة من اسلوب انشائه ايجاز عبارتها مع تمام وضوحها . بحيث لا تجد فيها لغواً بكلمة او جملة زائدة عن المراد . وكذلك ليس فيها كلمة ولا جملة ساقطة الى لغة العامة كما لا تجد فيها كلمة او جملة قلقة في محلها كما هو شأن الشيخ في اسلوب كتابته . ومن خاص ذلك قوله « ترتيبهم في المقام حسب ترتيبهم في الذكر » ومن ذلك ايضاً اختتامه لهذه الرسالة بقوله « والله اعلم »

وقد اضاف بعض الكتاب فيما بعدُ على اصل هذه الرسالة زيادات لا تخلو من فائدة تاريخية لكنها لا تخلو في بعضها من لحن . وفيها ما يخص اسرار ديانة الدروز والنصيرية مما لا يحبون افشاءه بين عامة الناس اهملناها اذ لا وجود للنصيرية في لبنان . لكنا نذكر منها فقط ما فيه فائدة تاريخية في الحواشي مع الاشارة الى ذلك بهذه العلامة « » او غيرها . والا فالزيادة في الحواشي منا

وقد اعتمدنا على النص المطبوع منها في القدس الشريف مع ترجمته اليونانية سنة ١٨٨٥ . وقد قابلناها على نسختين في مكتبة الجامعة الاميركانية . والله الموفق

ينقسم جبل الشُوف الى سبع مقاطعات : احداها الشوف، وهو قسمان الشوف السُوَيجاني والشوف الحيثي . والثانية المَناصف . والثالثة الشحّار . والرابعة الغرب، وهو قسمان اعلى وادنى . والخامسة الجُرد . والسادسة العرقوب وهو اعلى وادنى كالغرب . والسابعة المتن . وفي هذه المقاطعات من ذوي المناصب بنو جنبلاط في الشوف الحيثي . وبنو ابي نكد في المناصف . وبنو تلحوق في الغرب الاعلى . وبنو رسلان في الغرب الادنى . وبنو عبد الملك في الجرد . وبنو العيد في العرقوب الاعلى . وبنو العماد في العرقوب الادنى . وبنو ابي اللمع في المتن . وكل طائفةٍ من هذه الطوائف تتولى امر

المقاطعة التي هي فيها . غير ان بني ابي نكد يتولون امر الشحار مع المناصف . وكان يتولى امر هذه الطوائف جميعها بنو الشهاب على حسب العادة الجارية منذ مائة وخمسين سنة[١] مبتدية من سنة الف ومائة وتسع للهجرة عند انقراض دولة الامراء بني معن الذين كان اخرهم الامير احمد ولم يكن له ولدٌ الّا ابنةً قد تزوّج بها الامير بشير الشهابي[٢] من اصحاب وادي التيم المجاورة بلاد الشوف فجعلهُ وليَّ عهده . وتولى الامير بشير مكان الامير احمد تسع سنوات ومات عن غير ولدٍ . فتولى مكانه الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي من وادي التيم ايضاً . ووُلِدَ لهُ تسعة اولاد ذكور . فاقاموا جميعاً في دير القمر التي هي احدى قرى المناصف وهي دار الولاية في البلاد . وكانوا يتولون امر مدينة بيروت ايضاً فاقام بعضهم بها الى ما شاء الله وضرب الدهر ضرباته فخرجوا منها وانتشروا في البلاد . فاقام بعضهم في الغرب وما يليه . وبعضهم في الشحار . وبعضهم في الجرد . وبعضهم في كسروان . ولبث بعضهم في دير القمر

وهذه الطوائف التي ذكرناها مختلفة في المراتب فان منها امراء ومنها مشايخ . والامراء اعلى درجةً من المشايخ على الاطلاق . ولكل واحد من الفريقين طبقات متفاوتة

---

(١) صوابها وكما يجب ان تكون في الاصل : مئة واربعين سنة لتوافق سنة ١٢٤٩ هجرية التي تقابل سنة ١٨٣٣ التي كتبت فيها هذه الرسالة

(٢) نظن ان جملة سقطت هنا من الاصل عند الطبع بالتسطير حتى وقع خلل وغلط مهم في النص . ويجب ان يكون الاصل هكذا او بمعناه : تزوج بها الامير موسى الشهابي والد الامير حيدر . واذ كان هذا صغيراً اختار اصحاب الشأن في لبنان الامير بشير الشهابي من اصحاب وادي التيم الخ

اما الامراء فهم بنو الشهاب ثمّ بنو ابي اللمع ثمّ بنو رسلان

واما المشايخ فهم اولاً بنو جنبلاط ثم بنو العماد ثم بنو ابي نكد ثم بنو تلحوق ثم بنو عبد الملك ثم بنو العيد . وترتيبهم في المقام حسب ترتيبهم في الذكر هنا[1] غير انه يتوسط بين الامراء والمشايخ طائفة تلقب بالمقدَّمين وهي بنو مُزهر في المتن . وقد بقي منهم رجلٌ واحدٌ[2] يتولّى قرية واحدة من قرى المتن

وقد جرت عادة هذه الطوائف ان لا يُقتَل احدٌ منهم بامر الحاكم ولا يُحبَس ولا يُضرب[3] . فاذا اذنب احدهم كان قصاصه بسلب المال او اتلاف العقار او النفي من البلاد ونحو ذلك الاَّ في النادر عند ضعفهم واستظهار الحاكم عليهم . حتى اذا دخل المذنب عليه وهو تحت غضبه يعامله في المقابلة والسلام على عادته المألوفة غير متعرضٍ لاهانته بكلام او غيره . واذا كتب اليه كتاب الغضب لم يغيّر فيه شيئاً من القابه وكراماته فلا يذكر فيه الاَّ ما يدل على المحبة . ويُثبت ختمه في وجه الصحيفة بخلاف كتاب الرضى . فانه يختمه من الخارج . وهذا الختم عادة لـه مع جمهور الرعايا ايضاً

واما في سائر الاوقات فاذا دخل عليه احد المناصب فان كان

---

(١) قوله « ترتيبهم في المقام حسب ترتيبهم في الذكر » من التعابير الجميلة الخاصة بالشيخ ناصيف كما يعلم هذا كل من طالع مؤلفاته كما تقدم

(٢) هذا كان في زمن المؤلف . واما اليوم فهم كثيرون كما هو معروف

(٣) هذه الامتيازات الخاصة بامراء وكبار مشايخ لبنان تشابه امتيازات شيوخ الروم القدماء اصحاب شورى رومية قديماً « Sénateurs »

من بني الشهاب نهض اليه عند دخوله ونزل عن بساطه واقفاً حتى يصل اليه فيسلّم عليه مقبّلاً كتفه . وان كان من غيرهم لم ينهض حتى يبدأ بالتحية . فان كان من بني ابي اللمع قبّـل عضده وان كان من بني رسلان فزندَه وان كان مقدَّماً او شيخاً قبَّل حرف راحته مما يلي الابهام . واما من هو دونهم من الرعـايا فمنهم من ينهض له ولكن عند ما يهوي على يدهِ ليُقَبِّلها . فمنهم من يقبّل رُسغها . ومنهم من يقبِّل الاصابع . ومنهم من لا ينهض له ولا يُمَكِّنه من تقبيل يده . ومنهم من لا ياذن له بالدخول عليه[1]

واذا اقام في داره احد المناصب اياماً فان كان من الامراء الشهابيين نهض له كلما دخل عليه مطلقاً . وان كان من غيرهم فان كان اميرًا نهض له عند دخوله في كل يومٍ ابتداءً . فان خرج ثم عاد لم ينهض له : وان كان مقدَّماً او شيخاً فلا ينهض له الَّا عند الوداع ما لم يكن قد تولّى القضاء فان القاضي عنده في رتبة الامير بخلاف رئيس الشُّرَط فانه في رتبة العامّة حتى اذا كان من المشايخ لم يعاملهُ في المقابلة والكتابة على عادته قبل ذلك

وجميع ارباب هذه المقاطعات يتصرفون في مقاطعاتهم امراً ونهياً بين اهلها ويجبون خراجها واموالها السلطانية فيدفعون منهـا الى الحاكم مقداراً معلوماً ويبقى في ايديهم فضلة يعيّنها لهم لاجل نفقاتهم

واذا كان لرجل من رعاياهم طلبٌ عـلى آخر شكاهُ اليهم . فان انتصفوا لهُ منه والّا شكاه الى الحاكم . فيكتب الى صاحب المقاطعة ان ينصفه فان لم يفعل عاد الرجل الى الحاكم فارسل معه

(١) « وسنذكر الاشارة الى هذه الطبقات عند ذكرنا عوائد الكتابة »

مباشراً من قِبَلِهِ ينجز امره بنفسه مع غريمه ولا يكون لصاحب المقاطعة عتبٌ عليه

فان كان طلب ذلك الرجل على وليّ امره من اصحاب المقاطعات كتب الحاكم اليه اولاً فان لم يمتثل ارسل اليهِ مباشراً لا يرحل عنه الى انفصال الدعوى . وكذا اذا كان الامر بين اهل المقاطعة ومقاطعة اخرى . ومباشر الحاكم حيثما كان يقدمون له كل ما يحتاجه من طعام وشرابٍ وعلفٍ لفرسه ولا ينصرف الّا بامر مولاه . فاذا ارسل اليه الامر بالانصراف فرض لـهُ مالاً يقبضه من المُدَّعى عليه ما لم تكن الدعوى بدَينٍ فيفرض له على المُدَّعي ايضاً . وهذا الفرض في غير الدين استحساناً . واما في الدين فخمسةٌ من المائة المقبوضة . ولاصحاب المقاطعات اذنٌ في الحبس والضرب . فان كان امر يستحق القتل او قطع اليد ونحو ذلك فللحاكم العام . (غير انَّ هذا الاستيلاء انما يكون في كل مقاطعة لواحد من الطائفة . وهو الذي يقيمه الحاكم عاملًا له ويندر ان يكون له شريك من عشيرته)

هذا وفي البلاد طبقةٌ اخرى من المشايخ وهم بنو حمدان وبنو شمس وبنو ابي هرموش وبنو ابي حمزة وبنو حصن الدين في الشوف وبنو الشُنَيف وبنو عطاء الله وبنو العُقَيلي وبنو ابي علوان في العرقوب وبنو القاضي في المناصف وبنو الخوري صالح في الجرد وبنو زينيَّة في المتن وبنو امان الدين في الشحّار وبنو ابي مصلح في الغرب . وقد حدث في سنة الف ومائتين وسبع واربعين للهجرة[1]

---

(١) تقابل سنة ١٨٣٠ م . راجع تاريخ الامير حيدر شهاب صفحة ٨١٠ من طبعته البيروتية الجديدة

ان اسعد بن حسين حمادة قُتل في حصار قلعة سانور قدام الامير بشير الشهابي وكان ابوه صاحب شرطة الامير ومعه من بني عمه حُسَين قُوَيدر واخوه واكد . فاعطاهم الامير لقب المشايخ دون البقية من بني حمادة وجعل لهم يداً على قريتهم التي هي من مقاطعة الشوف لان المشايخ بني جنبلاط كانوا يومئذٍ نازحين من البلاد وعُهدة الشوف تحت تصرُّف الامير

ومن جميع هذه الطوائف ثلثٌ نصارى واحدة منها بالاصالة وهي بنو الخوري صالح واثنتان بالانتقال احداهما بنو الشهاب انتقلوا من الاسلام والاخرى بنو ابي اللمع انتقلوا من التدرّز . وبقية الطوائف دروزٌ بالاجمال

هذه قاعدة البلاد ويَتبعها من الجهة الغربية اقليم جزّين واقليم التفاح واقليم الخرنوب . ومن الجهة القبلية جبل الريحان والبقاع . ومن الجهة الشرقية كسروان والفتوح وبلاد جُبَيل وبلاد البترون وجبَّة المُنَيطرة وجبَّة بَشرَّة والكورة والزاوية . وفي هذه المقاطعات من المشايخ بنو حيمور في البقاع وبنو الخازن وبنو حُبَيش وبنو الدحداح في كسروان . وبنو حمادة في بلاد جبيل . وبنو الظاهر في الزاوية

واما في الولاية فالاقاليم يتولى امرها المشايخ الجنبلاطية وكسروان لبني الخازن والكورة لبني العازار والزاوية لبني الظاهر والبقية يقيم الحاكم عليها من يشاء لخدمته الّا البقاع وجبل الريحان فانه يتولى امرها بنفسه

وكل واحدٍ من هذه الطوائف في ايّ طبقةٍ كانت يُلقّبهُ

الحاكم في كتابته له بالاخ العزيز . وعن هذا اللقب تصدر المشيخة في البلاد بخلاف الامارة لان لها وضعاً مخصوصاً[١] . غير ان في ملحقات هذا اللقب اختلافاً بين الامراء والمشايخ باعتبار تلك الطبقة في نفسها او مع الاخرى . فان الامير ان كان من بني الشهاب زاد في كتابته ما يدلّ على الكرامة فوق بني ابي اللمع وهم فوق بني رسلان[٢] . وان كان الشيخ من بني حمادة كتب له كما يكتب للامراء بني ابي اللمع والا فهم على نسقٍ واحد . ومن هذه الجملة يكتب لبني الشهاب وبني ابي اللمع وبني حمادة في نصف طبق من الورق والبقية في ربع طبق . ومتى اراد ان يكتب اسم نفسه في كتاب لغير الشهابيين لا يدعو نفسه اخاً له بل محباً مخلصاً . ولا يكتب لقب نفسه بعد الاسم صريحاً بل يكتب ثلث نقطٍ متصلة تحت اسمه وتحتها نقطتين متصلتين ايضاً يشير بالاول الى شين شهاب وبالثاني الى بآئه[٣] . ولا فرق في ذلك بين الامراء

---

(١) « فكل امير يجري عليه هذا اللقب ( الاخ العزيز ) وليس كل من يجري عليه لقب الاخ العزيز يكون اميراً بل قد يكون شيخاً »

(٢) « فان كان الامير من بني اللمع يكتب له الحاكم حضرة الاخ العزيز الامير فلان حفظه الله تعالى . اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم في كل خير . ثانياً كذا وكذا . وهذه الكتابة تكون في نصف طبق من الورق . وان كان من بني ارسلان يكتب له مثل ذلك . ولكن في ربع طبق من الورق ولا يقول له في اثناء كتابته « ثانياً وبعد » بناء على ان هذه الطبقة اصغر من تلك لعدم جريها على مقتضى الترتيب في الوضع »

(٣) « واما المشايخ فكتابتهم كتابة الامراء بني ارسلان مقطوعاً منها لفظة جناب من اولها . ولا خلاف في ذلك بينهم ان كان من الرعاة او الرعايا »

والمشايخ ان كانوا رعاةً او رعايا . فانهم في رتبةٍ واحدة . واما بقية اهل البلاد فمنهم من يكتب له حضرة عزيزنا وهم من النصارى بنو بُلَيبل في قاطع المتن[١] وبنو العازار مشايخ الكورة وبنو اليازجي في الغرب ومن الدروز بنو الشيخ عليّ في الشوف ويلقبهم بالمشايخ ويكتب لهم اسم نفسه الفقير فلان ولكن الكتَّاب يشوّشون رسم الفقير حتى لا يهتدي الى قراءته من لا يعرف اصله وهو على هذه الحالة يسمّونه بالطُرَّة . ومنهم من يكتب لهم عزيزنا فقط بلا حضرة وهم اهل دير القمر واهل عين دارة واهل بتلون واهل نيحا واهل عين ماطور بوجه العموم . وكانت هذه القرى الخمس قديماً في يد الحاكم لا يتولّاها اميرٌ ولا شيخ ولذلك يقال لها الضياع الخاصّة . وقد يكتب ذلك لافرادٍ من اهل البلاد المشهورين . ومنهم من يكتب لهم اعزّ المحبين وهم عامّة الجمهور غير ان حضرة عزيزنا لا تكون الا في ربع طبق من الورق . واعزّ المحبين لا تكون الا في ثمن طبق . وعزيزنا تكون فيهما جميعاً بحسب الشخص المكتوب اليهِ[٢] . واما غير الحاكم من الامراء والمشايخ فانهم يدعون بالاخ من يدعوهُ الحاكم بذلك مطلقاً . وغيره قد يدعوه المشايخ

---

(١) « وبنو ابي شاكر في دير القمر مع بعض افراد مميّزين في الجبل من تجار وغيرهم وبنو الشلفون واليازجي في الغرب ومن الدروز بنو الشيخ علي في الشوف ويلقبهم بالمشايخ . ولكن مكان حفظه الله يكون سلمه الله وعوض المشاهدة الرؤية »

(٢) « غير انه يقول معه بعد الشوق عوض قوله اولاً مزيد الاشواق لرؤياكم مع الحضرة في اول الكتاب . ويقول قصدنا ان يكون معلومكم عوض لا تقطعوا اخباركم عنا في اخر الكتاب . ويكتب ايضاً عرفناكم »

بذلك وهو غير مضبوط لانه غير محصور في بيوت معلومة . ولكن بحسب الشهرة ومقتضى الحال[١] . واما الامراء فاما بنو ابي اللمع فلا يدعون احدًا بالاخ الا من دعاه الحاكم بذلك . واما بنو رسلان فلا يدعون بالاخ الا بني اليازجي في الغرب فقط والذي لا يُدعى بالاخ عند غير الحاكم يُكتَب له عزيزنا فقط مع اضافة الحضرة اليها او بدونها . ولا يكتب اعز المحبين لاحدٍ لانها من خصائص الحاكم

وفي جبل البترون قومٌ كانوا امراء ذوي شوكة يدَّعون بنسب الاكراد الايوبيين ثمّ انحطَّ امرهم حتى صاروا من ادنى العامَّة يحرثون ويحتطبون . وبعضهم يستعطي الناس ايضاً . ولكن قد بقي عندهم اثرٌ من شرف النفس فلا يتزوجون من عامة الناس ولا يزوّجونهم . واذا استعطى احدهم صان نفسه عن سوال العامة . فلا يسأل الا الامراء والمشايخ المعتبرين . وهم يحرصون على حفظ لقب الامارة . فاذا سلّم عليهم احد بغير هذا اللقب او ناداهم لم يجيبوه . وهم الى الان لم يزالوا كذلك في قرية يقال لها راس نحاش . وقد تناسى لقبهم القديم لطول مذلّتهم وخمولهم فصاروا يُعرَفون بامراء راس نحاش

وفي اقليم جزين قومٌ من المقدمين ينتسبون الى بني عليّ الصغير مشايخ بلاد بشارة ولم يزالوا الى الان يتزوجون من اطراف المشايخ المذكورين بني عليّ الصغير لكنهم التحقوا بامراء راس نحاش في الفقر

---

(١) «وكل من يكتب له الحاكم حضرة عزيزنا فالمشايخ يكتبون له كذلك على مقتضى الحال . واما الامراء فان بني ابي اللمع فلا يدعون احدًا من مقاطعتهم ولا غيرها بالاخ الا من دعاه الحاكم بذلك»

والهوان بعد ان كانوا ذوي صولة في البلاد . ولما سقطت منزلتهم صارت القرية التي هم فيها لقباً لهم فصاروا يُعرَفون بمقدَّمي جزّين . ومع ذلك لم يزل الحاكم يكتب لاولئك الامراء كما يكتب للامراء بني رسلان ويكتب لهولاء المقدمين كما يكتب لسائر مشايخ البلاد

ومن طوائف هذه المقاطعات التوابع امرآء راس نحاش وبنو حيمور في البقاع من المسلمين وبنو حمادة في بلاد جبيل . والمقدَّمون في جزين من الشيعية المشهورين بالمتاولة وبقية المشايخ من النصارى

ويُنظَر وراء الاعتبارات المذكورة في الكتابة الى اعتبار اخر من حيث هيئة الصحيفة المكتوبة فان منها ما يُطوَى مستطيلًا ويُكتَب الشطر الواحد منه ويُترَك الاخر بياضاً لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له قائمة . وهذا يُكتَب للمقرَّبين الذين يكتب اليهم احياناً ما لا يريد ان تقف عليه الناس ولذلك تُدرَج الصحيفة ملصقةً باللكّ ونحوه معنونةً باسم المكتوب اليه . وبناء على ذلك تحتمل من التنازل ما لا يطابق العادة المألوفة بوجهٍ ما . ومنه ما يُكتَب مبسوطاً ويقال له المفتوح وهذا يُكتَب للاجانب الذين لا ينتهي اليهم ما يُصان عن الناس . ولذلك تُدرَج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ملصقةٍ ولا معنونة لذكر الاسم في باطنها . وبناء على ذلك لا يرَخص فيها بشيء من التسامح في العوائد . وهي دون الاولى في الكرامة . وبما ان القائمة تحتمل ما لا يحتمله غيرها كان الامير بشير الشهابي يكتب بها نصف طبق للشيخ بشير جنبلاط ويكنيه بابي عليٍّ .

خلافاً للعادة لان الحاكم لا يكني احداً في كتابته على الاطلاق . ولكن لما توفي اخوه الشيخ حسن واراد ان يكتب له تعزيةً وهي مما يقتضي الشهرة فلا تناسبها القائمة كتب اليه كتاباً مفتوحاً ربع طبق من الورق مقتصراً على ذكر اسمهِ دون كنيته حسب العادة المفروضة . ومثل ذلك ما كتب به للشيخ ناصيف نكد تهنئة له عند زواجه وكان يكتب له ولابن عمهِ الشيخ حمود قائمة من نصف طبق ولكن معرضاً عن ذكر الكنية . ولم يكتب الحاكم لغير هولاء الثلثة من المشايخ في نصف طبق الا لبني حمادة الجُبَيليين لانهم كانوا قديماً يتولون امر تلك البلاد من يد الوزراء السلطانية . ولم يذكر كنيةً الا للشيخ بشير جنبلاط لانه كان على جانبٍ عظيم في البلاد

واما الكتابة الى الحاكم فان الجميع يدعونه سيداً لهم . غير ان الامير الشهابيَّ منهم يدعو نفسه ولداً له او ابن عمٍ بحسب سنهِ . واللمعيُّ يدعو نفسه محباً داعياً . والبقية من الامراء والمشايخ يدعون انفسهم عبيداً كما تكتب اليهِ عامة الناس بالاجمال . ولا يذكر له اسمٌ ولا لقبٌ ولا كنيةٌ بل يُدعى بالامير لا غير . واذا اردنا ان نستوفي دقائق هذه العوائد في الكتابة وغيرها يطول علينا الكلام في ما نستغني بالبعض منه عن الكل

واما جمهور الرعايا فاهل المقاطعات السبع اعني الشوف وتوابعه دروز ونصارى حتى لا يوجد قريةٌ اهلها من الفريق الواحد الا نادراً . وبينهم انفارٌ من المسلمين في دير القمر وجماعة من الشيعية في الغرب الاعلى . وقليلٌ من اليهود في دير القمر والعرقوب . واما بقية

المقاطعات فاهل[1] الاقاليم اكثرهم نصارى مختلطة بالمسلمين والشيعية كاهل جبل الريحان والبقاع . واهل كسروان وما يليها الى الزاوية نصارى بينهم متاولة في بلاد جبيل وقليلٌ من المسلمين . ولا يوجد في جميع المقاطعات احد من الدروز الا في مقاطعات الشوف . واكابرهم منتشرة فيها مستولية عليها ولذلك يقال لها بلاد الدروز

وفي هذه البلاد حفظٌ شديدٌ لمراتب الناس باعتبار الاصول فلا تزول الكرامة عن اهلها بسبب الفقر ولا تنزل في غير موضعها بسبب الغنى . فلا يستعمل الرجل ما لا يليق بمثلهِ من الطرفين . واهلها يغلب عليهم كرم النفس والنخوة والحميَّة وصيانة اللسان عن

---

(١) « ومن رعايا هذه البلاد طوائف من اصحاب السيف لهم سطوة في البلاد ونجدة بين ولاة الامور . فهم يراعون جانبهم ويحذرون من تعصبهم . وهم بنو سيف، وبنو عبد الصمد، وبنو ابو شقرا، وبنو ملاك، وبنو جودية، وبنو البعيني، وبنو دبيان، وبنو حماده في الشوف، وبنو الغضبان والسنية، وبنو زيتون، وبنو بدر، وبنو ابو ملهم في العرقوب، وبنو الصائغ في الجرد، وبنو خراج، وبنو عز الدين في الشحار، وبنو سعد، وبنو المدور في الغرب، وبنو حمد، وبنو حاطوم، وبنو هلال، وبنو الاعور، وبنو ابي الحسن، وبنو النجار، وبنو صالحة، وبنو مكارم، وبنو القنطار، وبنو مرادس، وبنو بلوط، وبنو منذر، وبنو الناكوزي، وبنو الكعدي، وبنو المعلوف، في المتن وهم اشهر هذه الطوائف واشدها باساً . ومنهم بنو بدر وابي ملهم والناكوزي والكعدي والمعلوف نصارى . والباقي دروز وهم جرة العداوات والفتن في البلاد . ولهم عادة ان يخرجوا على ولاة امورهم يتعبون معهم تعباً شديداً . وفي اكثر الامر لا يقدرون على اخذهم الا بالحيلة، كما فعل الامير منصور اللمعي ببني منذر فانه خادعهم حتى دعاهم الى وليمة فجلسوا ياكلون وكان قد أعد لهم جانباً عظيماً من البَرود فالقى عليه النار واذا هم يتطايرون . ويقال عن احدهم شاهين منذر انه بينما كان طائراً في الهواء استل خنجره وهو يتهدد الامير منصور وما زال حتى وقع ميتاً على الارض »

الفحش في حال الرضى والغضب واحتمال الاثقال والمكاره وحفظ المواثيق والمودات مع الاصدقاء والأنفة من الغدر بالاعداء حتى ان الرجل يعرّض نفسه للخطر في مساعدة صديقه ولا يبالي . ويظفر بعدوّه غفلةً فلا يتعرّض له حتى ينتبه لنفسه

وكان في البلاد عداوات كثيرة تقع بين الطوائف ويجري بينهم وقائع شتى ويُقتل منهم خلقٌ كثيرٌ فكان يتعصب لكل فئةٍ جماعة من اصدقائهم يحضرون القتال معهم ويلقون انفسهم الى المهالك تبرُّعاً من غير سببٍ يتعلق بانفسهم . ولا تزال هذه العصبيَّة بينهم يتوارثونهـا خلفاً عن سلفٍ الى ما شاء الله من الزمان . ولم يكن في ذلك فرقٌ بين النصارى والدروز . فكان كل فريقٍ منهم يتعصب للاخر كما يتعصب لقومه ولكنهم في هذه العداوات كانوا يلتزمون المروءة ويتحاشون الدنايا فلا ياخذ بعضهم بعضاً الا اقتناصاً بالغلبة كما يُحكى عن بعضهم انه مرَّ يوماً ببيت عدوه فوجد امراته في عمل لا تقدر عليه فمال الى مساعدتها وبينما هو كذلك اقبل بعلها فسلّم عليه كصديق له ثمَّ احضر اليه طعاماً فاكل ثمَّ اراد الانصراف فاستودعه وقال نحن على ما كنا عليه . وقيل كانت في العرقوب عداوة بين بني الغضبان والحسنيَّة فاستظهرت الحسنية على بني الغضبان حتى لم يطيقوا الاقامة في ابياتهم فنزحوا . واتفق بعد ايام ان رجلًا من الحسنية كان يحرث الارض في جبـل بعيدٍ عن القرية واذا برجلين من بني الغضبان قـد اقبلا عليه تحت السلاح . فلما رآهما وثب هارباً فوقعت رجله على صخرةٍ قد وُضعت في اعلى جدارٍ فسقطت عليه وامسكته حتى لم يقدر ان يتخلص منها . فوثب

الرجلان اليه وهو قد ايقن بالهلاك حتى ادركاهُ ورفعا تلك الصخرة عنه وقالا له اما الان فليس لنا فخرٌ في قتلك . ولكن احذر لنفسك مرّةً اخرى . ومن هذا القبيل ما يُحكى عن ابرهيم نكدٍ من دروز الشحار انه كان قد اشتبه بريبة في زوجته فاراد ان يقف على حقيقة الامر فركب فرسهُ يوماً عند المساء وقال ان لهُ حاجةً في دير القمر يريد ان يذهب اليها تلك الليلة وسار حتى وصل الى منزل في الطريق فنزل ومكث هناك حتى دخل الليل ثمَّ عاد راجعاً الى بيته حتى قرب منه فترجّل وشدَّ عنان فرسه في شجرة هناك ومشى حتى وصل الى البيت فوجد الباب موّصداً وسمع حديثاً هناك فنادى امرأته فتلجلجت في الجواب ولم تفتح . فدفع الباب ودخل واذا برجل عندها . وكان ابرهيم شجاعاً مهيباً فاضطرب الرجل فسكّن ابرهيم روعه واخذ بيده وقال اذهب بسلام . ولكن احذر ان يعلم احدٌ بذلك فيكون سبباً لقتلك . فذهب الرجل وهو لا يصدق بالنجاة . وخرج ابرهيم الى فرسه فاتى به الى مربضه واصلح شانه ثمَّ دخل الى البيت وزوجته تتوقع القتل تلك الليلة وتتمنى الفرار فلا تجد اليه سبيلاً . واما الرجل فعمد الى فراشه ونام على عادته ولم يعاتبها بشيء ولا سألها عن شيء حتى كانه لم يكن شيءٌ . فعجبت المرأة من ذلك ولم تعلم ماذا يكون ثمَّ نامت . ولما كان الغد مضى ابرهيم لشأنه ولم يتعرض لها بكلمة وجلست المرأة في بيتها حتى عاد في المساء فبات ايضاً كذلك . وما زال حتى وقع بعد مدة طويلة سببٌ لا يأنف من المجاهرة به فطلّقها ولم يعلم احدٌ بشيء من ذلك . ويقال ان عبدالله الريشاني من الغرب الادنى دخل يوماً الى بستانٍ لهُ فوجد رجلاً قد جمع منه ثماراً كثيرةً في غرارة واحتزم بها وهو يحاول ان

ينهض فلا يستطيع لثقلها . فاتى عبدالله من خلفهُ ورفع لـهُ اياها فنهض وهو يعجب من ارتفاعها . فلما استوى التفت واذا عبدالله خلفه فارتبك . فقال لهُ عبدالله اذهب لا بأس عليـك . ولكنها بئسَ الخصال لا ارضى لك بها وامثال هذه الاحاديث كثيرةٌ لا نطوّل الكلام بذكرها

وكانت اهالي هذه البلاد قديماً تنقسم الى حزبين قيسيَّة ويمنيَّة وكانت بين الفريقين عداوةٌ شديدة حتى لم تزل الحروب متواترة بينهم . وكان يُقتل من الطرفين خلقٌ كثيرٌ حتى قيل ان موقعةً كانت بينهم في بعض اودية المتن فما زالت الجماجم تتناثر منهم حتى سدَّت فُرجَة الوادي فقيل له وادي الجماجم الى الان . وما زال ذلك دأبهم حتى تولَّى الامير حيدر الشهابي وكان من حزب القيسية . فجرت بينهم واقعةٌ في عين دارة من اعمال العرقوب وكان الامير حيدر قائد بني قيس فظفروا باليمنيَّة وقتلوا منهم قتلاً ذريعاً فباد اكثرهم وكتم من سلم منهم هوى نفسه . وكان ذلك اخر العهد بهذه العصبيَّة . وصفتِ البلاد بعد ذلك حزباً واحداً الى ان وقعت منازعةٌ بين المشايخ بني جنبلاط وبني العماد . فمال بعض اهل البلاد الى هولاء والبعض الى اولئك . فانقسمت البلاد ايضاً الى حزبين احدهما الجنبلاطية وهم اصحاب بني جنبلاط . والاخر اليزبكيَّة وهم اصحاب بني العماد نسبةً الى جدهم الاول الذي كان يقال لهُ يزبك . واستمرَّ ذلك في البلاد الى الان شائعاً بين الرعاة والرعايا . الا بني الشهاب من الامراء فانهم ممن يُضاف اليه الناس ولا يُضافون (اليهم) وبني ابي نكد من المشايخ فانهم لم يريـدوا ان يضيفوا

انفسهم الى احد الحزبين . فهم بمعزل حتى تقع الواقعة . فاذا شاءُوا مالوا الى احد الجانبين . فكانوا كمرجحين له لا كركن منه

وهذه البلاد اعظم بلاد المشائر قدراً واشدُّها باساً واكثرها اشرافاً واوسعها بقعةً وحاكمها اكبر حكّام المشائر . وكلهم ينتمون اليه ويعظمونه ولاسيما اصحاب جبل عامل ووادي التيم وبعلبك فانهم يعتبرونه كحاكم عليهم ولا يصدرون في العظائم الا عن امرهِ . وقد جرَت عادة الامراء الشهابيين في هذه البلاد ان لا يكبر كبيرٌ عن خدمتهم . ولا يُرَدّ في وجوههم . ولا يقاومهم احدٌ . فاذا ارادت مناصب البلاد مقاومة احدٍ منهم فلا بُدَّ ان تستصحب احدهم ولو صبيا لتكون المقاومة باسمه . وهم الذين اقاموا الامراء والمشايخ في البلاد على المقاطعات . وجعلوا المقدَّمين بني ابي اللمع امراء . وبني ابي نكد وبني تلحوق مشايخ . وذلك في ايام جدّهم الامير حيدر ابن الامير موسى بعد انفصال نوبة القيسيَّة واليمنيَّة في عين دارة . فانه انعم بذلك على المقدَّم محمَّد والمقدَّم مراد اللمعيين ومحمد تلحوق وعليّ ابي نكد لانهم كانوا قد ابلوا بلاءً حسناً في تلك الموقعة . وكانت المتن يومئذ في يد الحاكم فاعطاها عهدةً للامير محمَّد والامير مراد اللمعيَّين المشار اليهما . وجعل بينه وبينهما صلةً في الزواج لحفظ العصبيَّة بينهم . وكان الامير يوسف رسلان صاحب الغرب والشحّار قد مال يومئذٍ الى اليمنيَّة فخلع الشحّار والغرب الاعلى من يدهِ واعطى الشيخ علي نكد المناصف وشحّار الغرب والشيخ محمد تلحوق الغرب الأعلى . وترك في يد الامير يوسف رسلان الغرب الادنى فقط . ولهذه الطائفة

الشهابية آثارٌ حسنة في البلاد . وعندهم بشاشةٌ في اوجه الناس ووداعةٌ معهم ورفقٌ بهم وتواضعٌ لهم . وهم الذين مهّدوا البلاد وذللوا صعابها وكسروا عادية المَرَدة والعصاة من اهلها . وقطعوا المداوات والفتن التي مرَّت عليها دُوَلٌ شتى قبلهم وهي منتشبةٌ بين الناس

هذا من حيث الاصول والعوائد الادبية . واما من حيث الاحكام الشرعية فان الجمهور يجري في المعاملات على حسب اصول الشريعة الاسلامية الا في مسائل قليلة كاثبات غلّة الرهن للمسترهن واباحة الربا من باب العُشر الى الثُمن وهو اصطلاحٌ يختاره الحاكم لميسرة البلاد في معاملاتها

وللدروز اصطلاحاتٌ خاصّة في المعاملات والعبادات وما يجري مجراها . فان الرجل يوصي بكل ماله لاحد أولاده او غيرهم ويحرم الاخرين بشرط ان يقطع ميراثهم ولو بادنى شيء . فتنفذ الوصية جبرًا على الورثة بخلاف الشريعة الاسلامية فانها لا تجيز الوصية الا ان يكون المُوصى له غير وارثٍ والموصى به ثُلث التركة فما دون . والا لم تنفذ الوصيَّة الا باجازة الورثة . ولاولاد الرجل ان يطالبوه بالقسمة ان كان قد ورث ما في يده عن آبائه لان ذلك مال البيت تستوي فيه الاصول والفروع . فان كان قد اكتسبه بسعيه لم يكن لهم ذلك لانه مال الشخص ينفرد فيه بنفسه خلافاً للشريعة الاسلامية . فان ذلك لا يسوغ فيها على كل حال لان الارث انما هو لشخص الاب فلا يستحقه الابن الا بعد موت ابيه

وللمناصب منهم عادةٌ ينفردون بها في مواريث النساء فان المرأة

عندهم لا ترث شيئاً من بيت ابيها اذا مات من بيده الميراث اباً كان لها او اخاً او غيرهما. ولا يرثون منها شيئاً اذا ماتت. يريدون بذلك قطع التداخل بينهم في الاملاك دفعاً لاسباب النزاع وحرصاً على مال البيت ان يبقى لاهله. وقد شاعت هذه العادة حتى جرت عند جميع مناصب البلاد من جميع الطوائف

واما اصطلاحهم في الزواج فاذا اراد الرجل ان يخطب امرأةً ارسل رسولاً الى اهلها في ذلك . فاذا اجابوه يُحضرون شيئاً من الُحلوى كالزبيب ونحوهِ . وهذا يُسمَّى حينئذٍ بالنعمانيّة . فاذا اكلوا هذه النعمانية مع رسوله كان ذلك عقداً للخطبة لا ينفكّ . ثمّ يرسل بعد ذلك الى قومها من يكتب الكتاب على مهرٍ معلومٍ وقد صارت زوجةً له يحضرها اليه متى شاء . فان وافقته والّا طلّقها وتزوّج باخرى . وكذلك الى ما ليس له حدٌّ يقف عنده . ولا يجوز الجمع عندهم بين زوجتين الا ان يطلِّق الاولى فيتزوج بالثانية . والطلاق عندهم يتمُّ بايسر امرٍ ولو على سبيل الغفلة فانه اذا قال لها اذهبي الى البستان مثلاً ولم يردف ذلك بقوله وارجعي فهي طالق . وقد يهجر الرجل المرأة فتلبث غير طالقٍ منه ما دام لم يتزوج بغيرها . فمتى تزوّج طلِقت بمجرد زواجه وجاز ان تتزوج بغيره . والمطلّقة والمخطوبة تستتران من المطلّق والخاطب اشدَّ من استتارهما من الرجل الاجنبيّ الى ما لا يُقدَّر . حتى ان احداهما تحرص ان لا ينظر احدهما ثوبها . وقد حكى من يُوثق به ان صبيةً كانت مخطوبةً لطفلٍ من بني عمها على انه متى شبَّ زوِّجوه بها . فكانت تستتر منه وهو مشتغلٌ عنها بالرضاع في حجر امه .

والمطلّقة عندهم لا تُردّ بوجهٍ من الوجوه ولو تزوّجت برجلٍ آخر ثمّ طلقت منه خلافاً لما عند المسلمين . فاذا ندم الرجل على الطلاق لم يكن له حيلةٌ الا الانكار ان صادقته المرأة . ما لم يكن عليه شهودٌ لا ينكرون الشهادة فتنقطع الحِيَل

واما اصطلاحهم في الملابس فان الرجال والنساء مطلقاً يلبسون اثواباً ضيقة الاكمام قصيرتها غير مختلفة الالوان . وذلك عامٌ في العقال من الرجال وجميع النساء وغالبٌ في جهال الرجال . والعقال يلتزمون ان تكون ثيابهم قصيرة الاذيال الى ما يلي الركبتين بيضاء او زرقاء محضاً لا يخالط لونها لونٌ اخر . ويلبس الرجل منهم فوق تلك الثياب عباءةً فيها خطوطٌ عريضةٌ من البياض والسواد . وعلى راسه عمامةٌ بيضاء مستديرة . ولا بُدَّ من اطلاق لحيته ولو كان في عنفوان صباه . واما المرأة فتلبس ثوباً سابغاً من لون اثواب الرجال وقد يكون احمر او اخضر . واذا خرجت من بيتها فلا بد ان ترسل عليها ثوباً تعلقه في منطقتها . فيجري الى قدميها وعلى راسها طرطورٌ تتخذه من القرطاس الصفيق ملتصقاً بالعجين . وترسل عليه ملاءةً تستتر بها كل وقتٍ ممن يراها من الرجال . غير انها لا تستتر الا احدى عينيها وما يليها فقط . وتترك العين الاخرى وما حولها غير مستترة . ما لم يكن الرجل من المحارم الذين لا يحلُّ لهم زواجها وهم الاب والابن والاخ والعم والخال فلا تستتر اصلاً . ولا تلبس حلياً من الفضة والذهب الا ما ندر من الجاهلات فان لهنَّ سعةً في ذلك . ولا بد لكل عاقلٍ او عاقلةٍ ان يتعهد عينه كل يوم بالكحل . وهم يفرضون لكل عين في السنة اوقيةً

من الكحل يذخرونها من اول العام

واما اصطلاحهم في الامور الدينية فانهم يدَّعون بالاسلامية ظاهراً ويذهبون باطناً الى عقائد خفية مكتومة عندهم لا يبيحون بها الا لمن حقَّت الثقة به منهم . وبحسب ذلك ينقسمون الى عُقّال وجهّال . وتنقسم العقال الى طبقتين احداهما خاصّة وهي ممَّن وثقوا به حقَّ الثقة فعرف دينه حقَّ المعرفة . والاخرى عامّة وهي ممَّن حسُنَ الظنُّ به فعرف شيئاً من دينه . واما الجهال فلا يعرفون شيئاً من ذلك . وليس لهم منه الا دخولهم تحت اسم الدروز فقط . والاتقياء من العقال يتخذون لهم خلواتٍ وهي ابنية منقطعة في اعلى الصوامع ينفردون بها ومجالس في القرى وهي ابياتٌ في داخلها ابياتُ اخرى يجتمعون اليها ليلة الجمعة من كل طبقةٍ . فيجلسون في البيت الظاهر ويقرأون ما تيسر من المواعظ ونحوها ثم يُحضرون شيئاً من الزبيب ونحوه فيأكلون وتنصرف الطبقة العامّة وتدخل الخاصة الى البيت الداخل وتغلق الابواب . وهناك يبذل الرجل لصاحبه ما كان مصوناً عن الاخرين

وللعقّال شيخ يتولّى قضاء التحليل والتحريم ونحوهما من المسائل الدينية يدعونه شيخ العقل . واليه ترجع دعاويهم من هذا القبيل . فان كانت من قبيل المعاملات الدنيوية رجعت الى قاضي الجمهور الذي يقيمونه في البلاد . ولا بد من زيارة شيخ العقل للعقال في كل مدةٍ من الزمان طائفاً على منازل الاكثرين منهم . وفي هذه الزيارة يصحبه غالباً انفارٌ من اتقياء العقال يدعونهم بالمحافظين . فاذا تعذَّرت زيارته لهم في اوقاتها ارسل المحافظين يفتقدونهم نيابةً

عنه وكثيراً ما يزورونهم من قِبَل انفسهم لانهم قد انتصبوا لذلك وهم بمنزلة وزراء له في آرائه واعماله

ومن العقال طبقةٌ اخرى تُعرف بالمتنزهين . واصحاب هذه الطبقة أشداء العبادة والورع . فمنهم من لا يتزوج حتى يموت بتولاً . ومنهم من يصوم كل يوم الى المساء . ومنهم من لا ياكل اللحم في جميع ايامه . وكان من هذه الطبقة الشيخ حسين الماضي كان شيخ عقل في جبل الشوف . وكان لا ياكل الفواكه ايضاً غير انه كان كلما جاءت فاكهةٌ يتناول منها شيئاً يسيراً ثمّ يُمسك عنها فلا يعود اليها ثانيةً الى السنة القابلة . قيل ان بعض اصحابه ناقشه في ذلك فقال له اني لو لم أذُق فاكهةً خامرتني الكبرياء . ولو بقيت على اكلها ضاع التقشف . فانا اجمع بين الطرفين . وكل عاقل لا يتناول شيئاً من المسكرات ونحوها على الاطلاق ولو كان مدمناً عليها في ايام الجهل[١] . ولا يفحش في كلامه على كل حال ولو كان قبل ذلك من السفهاء . ولا يرفع صوته في الكلام ولو كان في حالة الغضب . ولا يطوّح نفسه في الحديث الى ما يُنتقد عليه ولو كان مهذاراً قبل ذلك . ولا يُسرف في طعامه وشرابه ولو دعت الحاجة[٢] وكل ذلك يكون في ابتدائه تكلفاً . ثم يصير عادةً ثم

---

(١) « وهذا التحريم قد تظاهروا به منذ مئتي سنة بارشاد الامير عبدالله التنوخي المدفون في قرية عبيه من مقاطعة الشحار . واما قبل زمان المذكور فلم يكونوا يتحاشونه »

(٢) « لان الاسراف عندهم نقيصة في اخلاق الموحدين . حُكي ان الشيخ علي بن بشير نجم جنبلاط كان كثير النهم في الاطعمة وعاش في ذلك زماناً وهو جاهل . ثم اراد ان يعقل وكان شيخ العقل يومئذٍ الشيخ يوسف ابوحمزة فدعاه اليه

يصير طبعاً لا ينفكّ عن صاحبه ولا يتجشم له مشقة

والعقال يستحرمون مال اولياء الامور من ايّ جهةٍ كان . فلا يا كلون ولا يشربون من دار الحاكم ولا من بيت خادمهِ ولا مما يُحمَل على دابةٍ شريت بماله ولا مما يُعمل في حانوت قد أُقيم بنفقته . حتى انهم لا يطحنون الحنطة تحت رحاه ولا يعصرون الزيتون في معاصره وهلمَّ جراً [1] . والاتقياء منهم يستحرمون اموال غير العقال مطلقاً . فلا يا كلون من بيوت غيرهم حتى ولو كان من جهّال طائفتهم لعلمهم ان صاحب ذلك البيت لا يتحاشى ما

---

وسأله ان يدخله في العقل فابى وقال له هذه الطريق تأمر بالامساك وتنهى عن الاسراف فان استطعت ان تقنع باليسير والا فلا . فقال ان ذلك لم يكن مني على سبيل الشراهة لاني لا آكل فوق الشبع . بل كما تأكل انت غير ان القدر الذي يُشبعني فوق القدر الذي يُشبعك . فاصرَّ الشيخ على رده لكن نفسه لم تزل على ذلك لانه اذا دخل في هذه الطريقة لا يخلو من المنافع الى اهلها . فقال له كم يكفيك من الخبز في اليوم ؟ فقال نحو كذا وكذا رغيفاً . فقال له انا افرض لك ذلك موزوناً بحيث لا تتجاوزه . ثم تنظر بعد ذلك في امرك . قال نعم . فعمد الشيخ الى قطعة من حطب التين الاخضر وجعلها بوزن الارغفة ودفعها الى قهرمان الشيخ علي وامره ان يوزن بها خبزاً كل يوم وزناً محرراً وهو زاد يومه لا يُزاد عليه ولا ينقص منه . فمضى الرجل على ذلك اياماً . ثم اخذت تلك القطعة في الجفاف فاخذ الخبز في النقص رويداً رويداً والشيخ لا ينفر منه لقلة التفاوت . وما مضى على ذلك مدة حتى يبست تلك القطعة فصار الخبز الموزون بها مقدار ما تاكله الناس في العادة . لان هذا الحطب اثقل الشجر رطباً واخفها يابساً وجرى الشيخ على هذا المقدار تدريجاً من غير عائق له حتى صارت عادة له . وحينئذٍ حضر الشيخ يوسف فاعطاه دينه وصار عاقلاً مقبولاً »

(١) « وهكذا لا يأكلون من بيوت خوارنة النصارى الذين يخدمون الرعية عدا الرهبان العائشين من كد ايديهم »

يتحاشونه من الاموال المحرَّمة . وجميعهم يستحلّون اموال التجّار من ايّ جهة كانت . فاذا قبضوا دراهم محرَّمة اتوا بها الى التاجر يبدلونها منه . ومن التجار من يأخذ الدراهم منهم الى حين ثمّ يردّها لهم بعينها فيقبلونها حلالاً ولو عرفوها بناءً على حكم الظاهر المُعتبر عندهم . قيل وكانوا قديماً يسألون التاجر عن ماله من ايّ جهة جاء ليستثبتوا تحليله حتى كان الشيخ يوسف الكفرقوقي في دمشق وسأل ذات يوم امرأةً تبيع الخبز فاجابته جواباً فاحشاً وكان اماماً عندهم في الدين فامر برفع هذه العادة ولم تزل مرفوعةً الى الان يشترون ولا يسألون

والعقال يدعون انفسهم بالموحدين ويدعون الاتقياء منهم بالاجاويد ويسمون جهالهم كفّار الدروز . وليس عليهم فرضٌ من التكاليف الدينية كالصوم والصلوة والحج وغير ذلك . وهم يفرضون على انفسهم صيانة اللسان وكتم الاسرار وحفظ شرف النفس والتزام الادب قولاً وفعلاً . وكثيرٌ من الجهال يتخلقون باخلاقهم حتى يتعدّى ذلك الى من يجاورهم من الطوائف الخارجة عنهم

وليس لهم وليٌّ يُزار الا الامير عبدالله التنوخي ويلقبونه بالسيد فان له مقاماً في شحّار الغرب يزورونهُ بالنذور والهدايا

وليس عندهم من العلوم الا علم النجوم والطلاسم ونحو ذلك . وربما تعرَّض لعلم الفقه من اراد ان يرشح نفسه للقضاء . ولا يستعملون من الصنائع الا النجارة قليلاً والحياكة اقلّ منها والصباغة اقل منهما

واما عقائدهم الدينية فليس هذا موضع البحث فيها وهم يكتمونها كتماً شديداً . فلم تزل مصونةً عن الناس من اثناء سنة

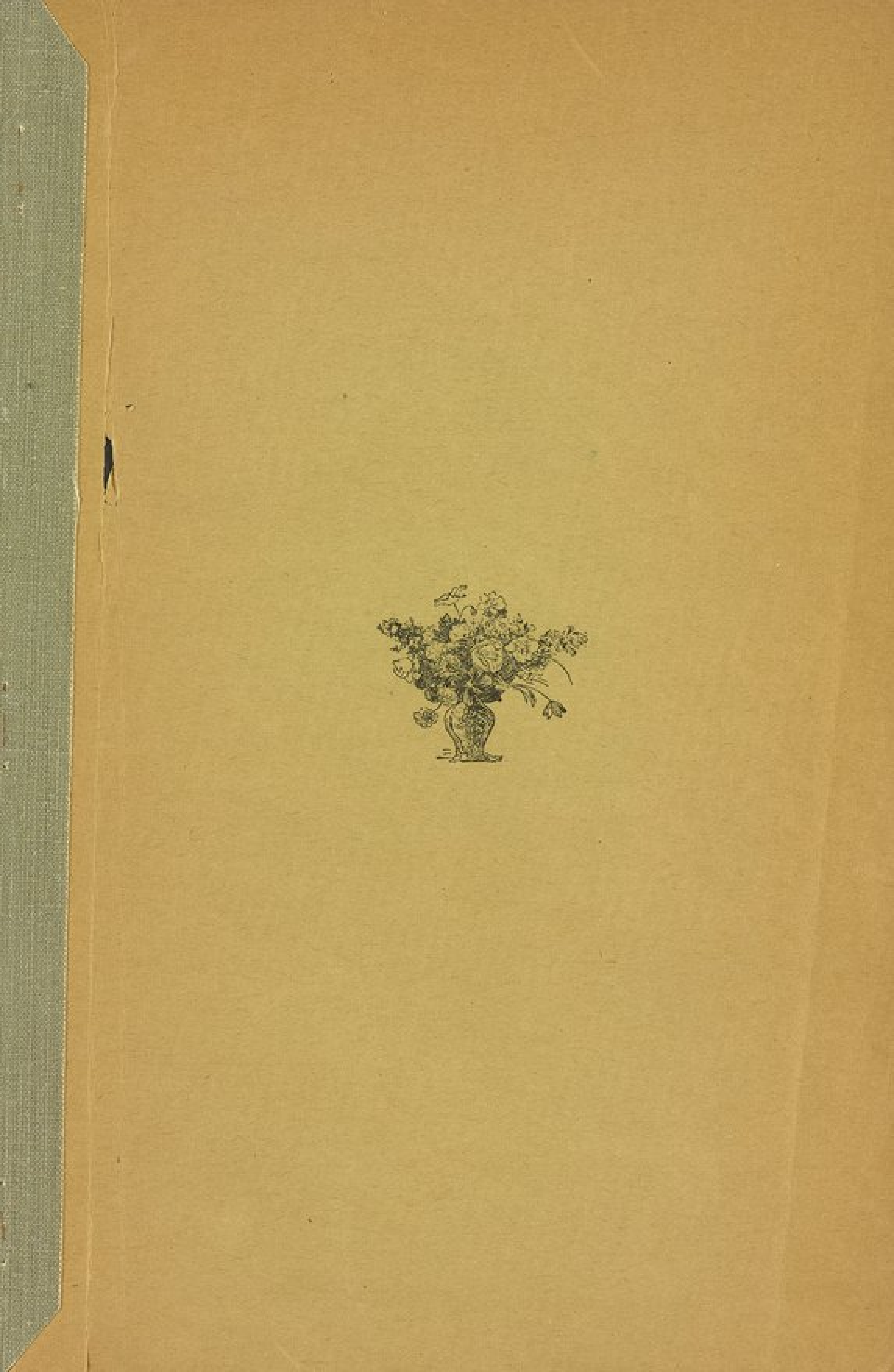
اربعمائة للهجرة الى اثناء سنة الف ومائتين وخمسين[1] حين نكبهم ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية في وادي التيم ونهب عسكره خلوة شبعة . وكان فيها كتب كثيرة فتداولتها الناس واشتهرت بعد ان كانت مكتومة محفوظة الى ما لا مزيد عليه . غير ان الناس لم يقفوا منها على معرفة جليّة الا قليلاً لان اكثرها مواعظ ونصائح واخبار . وما خرج عن ذلك فهو تحت اللغز والكناية لانهم لا يريدون التصريح بما عندهم حرصاً عليه فيطوون ما ارادوه على الرموز والاشارات الا في بعض الرسائل نادرًا ممَّا وقف عليه بعض الناس وشاع ما فيه بين الجمهور بالتواتر[2]

واعلم ان هذه البلاد من المقاطعات الاصلية والملحقة بها تشتمل على نحو خمسمائة قرية وهذه القرى تشتمل على نحو خمسين الف رجل من النصارى ونحو عشرة آلاف من الدروز وما حول خمسة آلاف من المسلمين والمتاولة واليهود عدا النساء والاولاد والله سبحانه اعلم . انتهى بقلم كاتبه الفقير سنة الف وثمانماية وثلث وثلثين مسيحية

---

(١) تبتدئ سنة ١٢٥٠ هجرية في ١٠ ايلول سنة ١٨٣٤ م ومن ثم يظهر ان هذه الفقرة قد زيدت على الاصل بعد سنة ١٨٣٣

(٢) « ومن عقايدهم التقمص والمراد به انتقال نفس الميت الى نفس المولود عند موته ويسمون الجسد قميصاً للنفس لاتزال الارواح على عدد واحد لا يزيد ولا ينقص . وهذا خلافاً للتناسخ الذي يعتقده اليهود والنصيرية . ولا ينحصر عندهم بين الناس بل يكون احياناً بينهم وبين البهائم . وذلك انما يكون بحسب حال الميت في التقوى والمعصية . فان كان من اعلى طبقة من البر انتقل الى اعلى طبقة من الناس كاولاد الملوك والخلفاء . وان كان دون ذلك فالى ما دون حتى اذا كان شريراً في الغاية انتقل الى ما يتفق مولده من اولاد البهائم والوحوش »





Nāsīf al - Yāzijī

Risālah ta'rīkhīyah
fi ahwāl Lubnān fi 'ahdihi al - iqtā'i

Qustantīn al - Bāsha